جاستون ڤيت

وأعماله العلميـــة

بقلم

الدكتور أحمـــد دراج

عاش فيت فى مصر ثمانية وعشرين عاماً ، قضى منها ثلاث سنوات ، من ١٩٠٩ حتى ١٩١١ ، باحثاً بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، وكان ذلك عقب تخرجه من مدرسة اللغات الشرقية بباريس . ثم عاد ليعيش فى مصر مدة ربع قرن من الزمان تبدأ من سنة ١٩٢٦ عندما عين مديراً لدار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامى) ، وتنتهى بانتهاء مدة خدمته بالحكومه المصرية فى سنة ١٩٥١ .

وطوال حياته العلمية الطويلة التى تمتد من سنة ١٩٠٩ حتى وفاته فى ٢٠ أبريل ١٩٧١ كان تاريخ مصر وحضارة مصر من الفتح العربى حتى العصر الحديث هو المحور الرئيسى لدراساته وأبحاثه ، وذلك دون أن يبتعد عن الميدان العام لتخصصه ، وهو التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية بصفة عامة .

وقد بلغت هذه الدراسات والأبحاث من التنوع والكثرة العددية ما يفوق تصور الباحثين . فقد ترك عشرات من الكتب التى تغطى معظم مجالات الدراسات التاريخية والحضارية . ومن هذه المجالات : التأليف ، ونشر النصوص العربية القديمة ، والترجمة إلى اللغة الفرنسية للمصادر التاريخية والجغرافية العربية ولروائع الأدب المصرى الحديث ، ونشر النقوش العربية ، وأخيراً الفنون الإسلامية والحضارة الإسلامية . كما كتب أكثر من ثلثمائة مقال تتناول مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية فى تاريخ مصر خاصة ، وفى التاريخ الإسلامى عامه .

وتتسم جميع هذه الدراسات بالجدة والأصالة ، وعمق البحث وغزارة المادة . فقد كان — رحمه الله — لا يشغله شيء فى حياته عن التفرغ للبحث العلمى ، وليس

أدل على ذلك أن الفترة التى عمل فيها مديراً لدار الآثار العربية إمتلأت بدراسة الكثير من الكنوز الفنية التى تحتويها الدار فى كافة مجالات الفنون الإسلامية. وقد ساعده على ذلك إعداده العلمى الخاص، وملكاته الفكرية، وجلده على العمل، وحبه لمصر خاصة وللتاريخ الإسلامى عامة، ومكتبته الخاصة التى تعدت الخمسة عشر ألف مجلد، وموجز للقول، فهو عالم من طراز العلماء الموسوعيين، من أمثال السيوطى وغيره ممن حفل بهم تاريخ مصر الإسلامى.

لقد خدم فيت تاريخ مصر خاصة، والتاريخ الإسلامى عامة فى أمانة الرجل العالم والمؤرخ الصادق، وهى أهم الخصائص التى يجب أن يتحلى بها المؤرخ ليقدر لأعماله الخلود.

ولهذا فإنه من حق فيت على مصر، وعلى زملائه وأصدقائه من المصريين الذين عملوا معه أو إرتبطوا به برابطة الصداقة، بل ومن حقه على تلامذته من المصريين وعلى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية التى أسهم فى نشاطها العلمى، أن تتذكر معاً سيرته العطرة، وحياته العلمية الحافلة.

ولكى يتيسر لنا إلقاء الضوء على أعماله العلمية، يجدر بنا أن نستعرض الجانب العلمى من تاريخ حياته الطويلة التى إمتدت أربعة وثمانين عاماً. وإلى حضراتكم هذا العرض الموجز.

— ولد فيت سنه ١٨٨٧ وتوفى فى ٢٠ أبريل سنه ١٩٧١.

— حصل على دبلوم مدرسة اللغات الشرقية بباريس سنة ١٩٠٩.

— عضو بعثة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة من سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩١١.

— محاضر فى اللغة العربية واللغة التركية بكلية الآداب — جامعة ليون من سنة ١٩١١ حتى سنة ١٩٣١.

— عضو مراسل بالمجمع الفرنسى سنة ١٩٢٤

— مدير دار الاثار العربية بالقاهرة (متحف الفن الإسلامى) من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٥١

— عضو المجمع العلمى المصرى من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٥١.

— أستاذ جغرافية وتاريخ الشرق الأدنى بمدرسة اللغات الشرقية بباريس من سنة ١٩٣١ حتى سنة ١٩٥١.

— أستاذ تاريخ الفنون الإسلامية بمدرسة اللوفر من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٣٨ .

— نائب رئيس المجمع العلمى المصرى سنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨ .

— الأمين العام للمجمع العلمى المصرى من سنة ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٥١ .

— عضو المجمع العلمى المصرى من سنه ١٩٥١ حتى سنة ١٩٧١ .

— أستاذ اللغة العربيـة والأدب العربى بكوليج دى فرانس مـن ١٩٥١ حتى سنة ١٩٥٧ .

— عضو المجمع الفرنسى من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٧١ .

ومن هذا العرض يتضح لنا تـكوينه العلمى الذى يتمثل أولا فى دراسته للغات الشرقية الثلاث ، العربية والفارسية والتركية ، ووصوله على المدى الطويل من حياته فى معرفته بهذه اللغات إلى درجة متميزة ينفرد بها بين المستشـرقين المعـاصرين . وهذه القدرة فى إجادة اللغات الشرقية ، ولاسيما اللغة العربية ، هى التى مكنته من أن يطرق جوانب عديدة فى الدراسات الإسلامية كالأدب العربى والتاريخ والجغرافيا ، والفنون والحضارة ، وهى التى جعلته يتصدى لترجمة النصوص العربية القديمة لـكبار المؤرخين والجغرافيين العرب ، ولترجمة روائع الأدب المصرى الحديث بأقلام كبار الـكتاب مثل طه حسين ، وتوفيق الحـكيم ، ومحمود تيمور .

كما أن عمله الطويل فى دار الآثار العربية قد زاد من خبرته بالفنون الإسلامية فى كافة مجالاتها .

هذا فضلا عن أن إقامته الطويلة فى مصر جعلته يتخطى حدود الدراسة النظرية لتاريخ مصر وشعب مصر والتى تمتلىء بها صفحات الـكتب ، وأن يتفهم عن قرب ، روح الشعب المصرى وجوانب الأصالة والإبداع التى تجلت على يديه عبر عصـور التاريخ — وعلى وجه التخصيص — فى العصر الإسلامى . وبهذه النظرة الصادقة إستطاع أن يتفهم أيضاً التاريخ السياسى والحضارى للعالم الإسلامى . ولهذا تميزت دراساته بمعالجة جوانب عديدة من حضارة مصر الإسلامية خاصة ، والعالم الإسلامى عامة . وهذا يتمثل فى العدد الوفير من المقالات التى تعالج الجـوانب الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والأدبية والفنية والشعبية وغيرها .

وإلى هذه الجوانب المتعددة فى تكوينه العلمى أضيف جانبا آخر أكتسبه بالتلمذة على يد أستاذه العالم السويسرى ماكس ڤان برشم صاحب الفضل فى إرساء علم دراسة النقوش العربية . ثم ما لبث ڤيت أن أصبح علماً من أعلام هذه الدراسة. وكان ڤيت من أقرب تلامذة ماكس فان برشم وأوثقهم صلة به فى حياته ، وأشدهم إخلاصاً له ولأعماله العلمية بعد وفاته .

فهو الذى قام بعد وفاته بنشر أبحاثه عن النقوش العربية الخاصة بالقدس ، والتى لم يكن قد توفر العالم الراحل على إعدادها للنشر . وقد إستغرق هذا العمل منه جهداً كبيراً ووقتاً طويلا ، تمثل أخيراً فى نشر هذه المجموعة القيمة عن القدس فى خمسة أجزاء صدرت فى القاهرة فى مجموعة MIFAO وتحمل الأرقام والسنوات الآتية :

— رقم ٤٣ ، الفصلة الأولى (سنة ١٩٢٢) ، الفصلة الثانية (سنة ١٩٢٣) .

— رقم ٤٤ ، الفصلة الأولى (سنة ١٩٢٥) ، الفصلة الثانية (سنة ١٩٢٧) .

— رقم ٤٥ ، فهرس عام للمجموعة كلها سنة ١٩٤٩ .

كما قام فى سنة ١٩٣٣ بنشر الفصلة الثانية من الجزء الأول من كتاب « جامع النقوش العربية » الخاص بمصر ، والتى لم يكن قد تمكن ڤان برشم أيضاً من نشرها . وقد نشرت فى نفس المجموعة ، مجلد رقم ٤٣ .

وبالإضافة إلى كل هذه الخبرات فقد كان العالم الراحل يجيد اللغتين الانجليزية والألمانية، الأمر الذى مكنه من الاطلاع على القدر الأكبر من كتب زملائه المستشرقين الذين يتناولون بالبحث الدراسات الإسلامية بهاتين اللغتين ، وهذا يتجلى فيما قام به من تقديم ونقد للعديد من الكتب التى كتبها أعلام المستشرقين المعاصرين له، والتى فاقت فى مجموعها الخمسين مقالا .

وفى ضوء هذا التعريف بتكوينه العلمى أحاول أن أستعرض لحضراتكم أهم أعماله العلمية.

ففى الدراسات الاسلامية المصرية نجد أن ڤيت أقدم فى سنة ١٩١١، وهى السنة الأخيرة من عمله كباحث فى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، على نشر كتاب « الخطط » للمقريزى. وكان هذا جرأة كبيرة منه لإقدامه — وهو لايزال فى بدء حياته العلمية — على نشر هذا الكتاب الذى يعتبر أهم المصادر العربية لتاريخ مصر وتاريخ بلدانها وآثارها منذ بدء الخليقة كما جرى عرف المؤرخين المسلمين حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى على وجه التقريب. ويزداد تقديرنا لهذه الجرأة لأننا نعلم أن الفصول الأولى من هذا الكتاب والتى تعالج تاريخ مصر — تعتبر أكثر أجزاء الكتاب صعوبة وغموضاً.

وكان قد سبق ڤيت إلى الاهتمام بدراسة هذا الكتاب عالمان فرنسيان لهما شهرتهما فى ميدان الاستشراق وهما بورياند Bouriant وكازا نوفا Casanova. ولكنهما إدراكاً منهما لصعوبة نشر هذا الكتاب والتعليق على مايحتويه من حقائق علمية هامة خاصة بتاريخ مصر واثارها، إكتفيا بترجمة النص العربى إلى اللغة الفرنسية. وقد بدأت هذه الترجمة بالفصل الأول من الكتاب وتوقفت عند الفصل الخاص بابتداء الدعوة الفاطمية (طبعة بولاق، الجزء الأول، ص ٣٩٥)، وقد صدرت هذه الترجمة فى أربعة مجلدات من مجموعه MIFAO فى سنة ١٨٩٥، ١٩٠٠، ١٩٠٦، ١٩٢٠.

واما ڤيت فقد توفر على نشر هذا الكتاب والتعليق عليه، وأخرج لنا منه خمسة أجزاء بدأت بالفصل الأول من الجزء الأول وتوقف عند الفصل الخاص بذكر القطائع ودولة بنى طولون (حتى ص ٣٢٦، من الجزء الأول طبعة بولاق)

وقد صدرت هذه الأجزاء الخمسة فى نفس المجموعة فى سنة ١٩١١ ، ١٩١٤ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٨ ، (أرقام : ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣).

ولم يستطع ڤييت أن يواصل نشر بقية كتاب الخطط ؛ إذ كان قد شغل منذ سنة ١٩٢٢ بنشر دراسات أستاذه ماكس ڤان برشم عن النقوش العربية الخاصة بمصر والقدس ، كما عين سنة ١٩٢٦ مديراً لدار الآثار العربية . وهكذا جذبه العمل فى دار الآثار العربية وفى نشر النقوش العربية إلى ميدان آخر هو ميدان النقوش العربية والفنون الإسلامية التى عاش فى جوها .

غير أن عمله فى نشر « الخطط » كان بمثابة القاعدة الصلبة التى أقام عليها معرفته التامة بتاريخ مصر ومصادره المختلفة من العصر القبطى حتى العصر الحديث . فقد تطلب منه التعليق على أهم معالم مصر وآثارها وبلدانها وعواصمها التى ورد ذكرها فى هذا الكتاب ، والرجوع إلى كافة المصادر لتعريف القارئ بما اندثر من هذه المعالم ، وبما لايزال باقياً منها حتى عصرنا الحديث ، وهذا يتجلى فى وضوح لكل من يتصفح الحواشى والتعليقات العلمية المسهبة فى الأجزاء التى قام بنشرها من الخطط .

كما أن نشر الخطط جعله يمد جذور دراسته عن مصر الإسلامية إلى العصر القبطى ، وأن يتعرف على تاريخ المدن المصرية القديمة التى ورد ذكرها فى الكتاب وأن يتعرف أيضا على المؤرخين القبط الذين كتبوا تاريخ مصر باللغة العربية فى العصر الإسلامى .

ففى سنة ١٩١٤ قام بالاشتراك مع جان ماسبيرو Jean Maspero باصدار الجزء الأول من دراستهما عن المدن المصرية ، وهى الدراسة التى إستكملت سنة ١٩١٩ وظهرت تحت عنوان :

— Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte, in MIFAO, T. XXXVI, Fasc. I (1914), Fasc. II (1919).

وفى هذا الكتاب عرف المؤلفان بأهم المدن المصرية ، منذ العصر الفرعونى حتى عصرنا الحالى من الناحيتين الجغرافية والتاريخية .

وفى عام ١٩٢٣ قام بالاشتراك مع عالمين متخصصين فى العصر القبطى ، وهما Eugéne Tisserant, Louis Villecourt بايضاح شخصية مؤرخ قبطى عاش فى العصر الإسلامى وكتب باللغة العربية وهو شمس الرئاسة أبو البركات ابن كبر . وظهرت هذه الدراسة فى العدد الثانى والعشرين من مجله الشرق المسيحى بعنوان :

— Réçkerches sur la personnalite et la vie d'Abul Barakat ibn Kubr, in Revue de l'Orient chrétieu, XXII.

وفى سنة ١٩٢٩ قام بالاشتراك معها بدراسة لكتابه « مصباح الظلمه وإيضاح الخدمة » . وكان قد سبقها إلى ذلك فى سنة ١٩٠٢ المستشرق الألمانى ولهلم رايدل Wilhelm Riedel ، وقد صدرت هذه الدراسة فى العدد ٢٠ من مجموعة Patro logia Orientalis بعنوان :

— Le liver de la laupe des t'enébres

ثم قام فى سنة ١٩٢٤ باشتراك مع Eugene Tisserant بدراسة الآباء بطارقة الاسكندرية للذين أورد القلقشندى أسماءهم فى كتابه « صبح الأعشى » ، وهى الدراسة التى ظهرت فى مجلة الشرق المسيحى ، العدد ٢٣ بعنوان :

— La liste des patriarches d'Alexandrie daus Qalqashandi.

وتخليداً لذكرى صديقة جان ما سبيرو قام فى سنة ١٩٢٤ بالاشتراك مع Tisserant Fortescue, بنشر الكتاب الذى لم يكن قد تمكن من طبعه قبل وفاته وهو « تاريخ بطارقة الاسكندرية من سنة ٥١٨ حتى سنة ٦١٥ م

— Histoire de Patriarches d'Alexandrie, depuis la mort de l'eupéreur Anastase Jusqu â la réconciliation des Eglises Jacopites (518 — 615), in Publications de l'Ecole des Hautes-Etudes. Paris 1924.

وظهرت أثر هذه الدراسات فى كتابته لتاريخ مصر الإسلامية . فقد استطاع أن تتفهم فى عمق الدور الذى شارك به القبط فى تاريخ مصر الاسلامية وفى تطور الحضارة المصرية الاسلامية . و يكفينا فى هذا الصدر أن نشير إلى مقاله عن « القبط » فى دائرة المعارف الاسلامية .

* * *

وأما عن تاريخ مصر الإسلامية فإنا نلاحظ أن فيت لم يبدأ فى كتابة كتبه الرئيسية عن هذه الفترة إلا بعد أن توفر له الإلمام الكافى بتاريخها وحضارتها . وهذا تيسر له بعد أن قام بدراسات عن أهم مؤرخى مصر الإسلامية كالكندى والمقريزى (سنة ١٩١٤ ، وسنة ١٩١٦) ، وإبن عبد الحكم (سنة ١٩٢٠) ، وإبن ييسر (١٩٢١) ، وأبو المحاسن بن تغرى بردى (١٩٣٠) . وكذلك بعد أن عمل فترة طويلة فى دراسة النقوش العربية . وبعد أن عمل بضع سنوات مديراً لدار الآثار العربية . واستطاع أن يتعرف فى هذين المجالين على الكثير من الجوانب الحضارية المصرية الإسلامية .

ففى سنة ١٩٣٢ أصدر ثلاثة كتب . أولها :

— الكتاب الذى إشترك فى تأليفه مع LouisHautecoeur عن مساجد القاهرة . فقد كتب ڤيت القسم الأول من الكتاب وهو الخاص بالحقائق التاريخية . وترك لزميله دراسة مساجد القاهرة من الناحية الأثرية . وفى هـــذا القسم عالج ڤيت موضوعات حضارية بحتة تهدف إلى إبراز خصائص الشعب المصرى وملكاته التى ظهرت فى العصر الإسلامى . وتجلت فى جوانب الإبداع الحضارى التى تتسم بها الحضـارة المصرية الإسلامية .

— وكتابه عن « مصر الإسلامية » الذى ظهر فى الجزء الثانى من مجموعـة « موجز تاريخ مصر »

—Précis de l'Histoire d'Egypte

وفى هذا الكتاب عالج تاريخ مصر منذ الفتح العربى حتى سقوط دولة المماليك . وفى هذه المعالجة يلاحظ القارىء قدرته على إبراز الجانب الحضارى بجانب التاريخ السياسى ، سوءفيما يختص بتطور نظم الحكم أو الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية خلال هذه الفترة الطويلة

— ثم كتابه الثالث :

— Les Biographies du Manhal Safi

وهذا الكتاب عرض مسلسل للتراجم التى وردت فى كتاب أبى المحاسن بن تغرى بردى « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » وذلك عن النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ ، وتتكون من ثلاثة أجزاء ضخمة وتحتوى على ٢٨٢٢ ترجمة ، وقد ألفه أبو المحاسن ليكون ذيلا لكتاب « الوافى بالوفيات » لخليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ١٣٦٢ م . ولهذا فان التراجم التى

أوردها أبو المحاسن تشمل النابهين والمشهورين من رجال مصر في العصر المملوكي من سنة ٦٥٠ هـ حتى وفاة المؤلف سنة ٨٧٤ هـ .

والتزم ڤييت في التعريف بهذه التراجم منهجاً فريداً يهدف إلى التعريف بها في شيء من الدقة والإيجاز ، بدلا من الإسهاب الممل الذي يشعر به القارىء في قراءة التراجم الإسلامية . فاهتم بتحقيق اسم صاحب الترجمة ، وكنيته ، ولقبه ، وتاريخ وفاته ، ونشأته ، وأهم الوظائف التي تقلدها ، وشهرته التي اشتهر بها . كما أضاف إلى هذه الحقائق المستخرجة من الترجمة ، كما وردت في النسخة الخطية ، كل ما يزيد القارىء تعريفاً بصاحبها وأهم الأحداث المتصلة به ، وذلك بإحالة القارىء إلى كافة المصادر والمراجع التي تحدثت عن صاحب الترجمة. كما قدم لنا تحليلا علمياً لما ورد بهذا الكتاب من تراجم ، فقام بتجميع كل من ينتسب من أصحاب هذه التراجم إلى أسرة واحدة ، سواء أكانت من الأسرات الحاكمة في المشرق أو في المغرب الإسلامي أو من الأسرات التي اشتهر أفرادها بالاشتغال بالفقه أو بالقضاء ، أو بأحد فروع العلوم والمعرفة .

وفي سنة ١٩٣٧ كتب ڤييت أهم كتبه عن تاريخ «مصر العربية L'Egypte Arabe الذي خصص له الجزء الرابع من مجموعة « تاريخ الأمه المصرية » .

وفي هذا الكتاب أسهب ڤييت في معالجة « تاريخ مصر العربية » الذي كان قد عالجه في سنة ١٩٣٢ في مجموعة « موجز تاريخ مصر » بعنوان « تاريخ مصر الإسلامية » ، كما تطرق فيه إلى بحث جوانب أخرى جديدة من التاريخ السياسي والحضاري لمصر في هذه الفترة ، ومن ثم اتسمت هذه الدراسة بالإسهاب والشمول وغزارة المادة . ولهذا فانه يعتبر — في نظر المتخصصين أهم الكتب التي تعالج تاريخ هذه الفترة الطويلة من التاريخ المصري .

وفى سنة ١٩٦٤ دعى لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى جامعتين أو كلاهما بالولايات المتحدة الأمريكية عن القاهرة . وهى المحاضرات التى نشرت فى كتاب:

— القاهرة . مدينة الفن والتجارة .

—Cairo, City of Art and Commerce

***

كما تعددت مقالاته العلمية عن مختلف الجوانب الغامضة من تاريخ مصر الإسلامية. بل نراه فى هذه المقالات يطرق نواحى فريدة وآفاقا جديدة فى تاريخ مصر الإسلامية

ومن هذه الموضوعات — على سبيل المثال لا الحصر —

— كتاب السر فى العصر المملوكى (رؤساء ديوان الإنشاء)

— المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى .

— تجار الكارم .

— السلطان الظاهر بيبرس .

— ابن النفيس واكتشاف الدورة الدموية الصغرى .

— القاهرة كما رآها الرحالة الأجانب .

— الموسيقى والرقص فى مصر الإسلامية .

— الوباء الأسود (الطاعون) الذى حل بمصر وسورية سنة ١٣٤٨م وبلاد كثيرة أخرى فى أوروبا .

— الأدباء والكتاب المصريون فى القرن الخامس عشر الميلادى .

— أبحاث عن المكتبات المصرية فى القرنين العاشر والحادى عشر الميلادى.

— الأعياد والألعاب الشعبية فى مصر الإسلامية .

القاهرة فى ألف عام .

— شعار الجمهورية العربية المتحدة (النسر) .

وفى مجال العلاقات الخارجية :

— العلاقات المصرية — الحبشية فى عهد سلاطين المماليك .

— أميران من أمراء الأتراك العثمانيين بالبلاط المملوكى .

— اللاجئون السياسيون من أمراء الأتراك العثمانيين فى مصر .

— لاجىء من أمراء المماليك بالبلاط المغولى .

وبالإضافة إلى هذه المقالات ، كتب ڤييت أكثر من ٣٠ مقالا فى دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الفرنسية ، عن أشهر المدن المصرية وعن أشهر الشخصيات فى تاريخ مصر .

* * *

وامتد إهتمام ڤييت إلى تاريخ مصر الحديث وعلى الأخص عصر الحملة الفرنسية وعصر محمد على

وأهم مؤلفاته فى هذا الصدد ، هى :

١ — مذكرات الرحالة Trécourt عن مصر فى سنة ١٩٧١ ، نشرها والتعليق عليها . وقد ظهرت فى مطبوعات الجمعية الجغرافية المصرية سنة ١٩٤٢ .

٢ — سقوط العريش ، كما رواه الكابتن Bauchard فى مذكراته ، وقد صدرت بالقاهرة سنة ١٩٤٥ .

٣ — مذكرات نقولا الترك ، من ١٧٩٨ حتى ١٨٠٤ . وقد نشر النص العربى مع ترجمته إلى اللغة الفرنسية والتعليق عليه ، وظهرت بالقاهرة سنة ١٩٥٥ .

٤ ـ محمد على والفنون الجملية .

هذا غير عدد من المقالات عن تاريخ هذه الفتر ، منها : ـ

ـ قناصل فرنسا فى مصر فى عهد محمد على .

ـ خطاب للعالم الفرنسى جومار .

ـ رحلة إبراهيم باشا إلى فرنسا وإنجلترا .

ـ مذكرات غير منشورة عن الحملة الفرنسية على مصر .

ـ محنة السيادة العثمانية على مصر .

ـ تقرير بريطانى عن إستيلاء الوهابيين على مكة .

كما تجلى إهتمامه ، بتاريخ هذه الفترة ، فى قيامه بالاشتراك مع الدكتور عبد الرحمن زكى ، فى وضع فهرس مفصل لكتاب « عجائب الآثار للجبرتى » لكى يتمكن الباحثون من الاستفادة من هذا الكتاب الهام على خير وجه .

وكما أوضحت من قبل فإن دراسة ڤييت لتاريخ وحضارة مصر الإسلامية إنما كانت داخل الإطار العام لتخصصه فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية عامة . وقد ساعده على الاحاطة التامة بالتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية إلمامه الكافى بمصادر التاريخ الإسلامى ، العربية والفارسية ، كما أن دراساته فى ميدان الفنون الإسلامية والنقوش العربية جعله يمد دراساته من هذا الميدان إلى آفاق جديدة ، وخاصة بلاد الشام التى كانت هى ومصر تكونان دولة واحدة فى معظم فترات التاريخ المصرى الإسلامى .

وأبرز مؤلفاته فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، هما كتاب ـ مجد الإسلام ، باريس ١٩٦١ (Gran deur de l'Islam) .

ـ مقدمة فى دراسة الآدب العربى ، وهو من مطبوعات اليونسكو ، باريس ١٩٦٦ ('Intraduction a' la littérature arabe) .

— فأما الكتاب الأول فقد كتب بقصد تعريف الأوربيين بمجد الإسلام، وذلك عن طريق إيراد النصوص المختارة على لسان المؤرخين والكتاب الثقة التى تصور فى أمانة ودقة الشخصيات التى أسهمت فى بناء مجد الإسلام فى المشرق أو فى المغرب، وكذلك الأحداث التاريخية الكبرى التى شكلت تاريخ الإسلام، منذ القرن الأول حتى بداية القرن العاشر الهجرى. وقد إقتضى الأمر أن يمهد لكل فترة من هذه الفترات التاريخية بتعريف موجز لها يسمح للقارىء الأوروبى بأن يتفهم الإطار التاريخى للنص الذى ينقله إليه عن أحد كبار المؤرخين والكتاب العرب.

— وأما الكتاب الثانى، فهو — فى حقيقة الأمر — دراسة للحضارة العربية من خلال دراسة تطور الفكر العربى فى مختلف الميادين، فى الشعر والنثر، والقصة، والتاريخ والجغرافيا، والفلسفة والتصوف. وهذا الكتاب يعتبر من أروع ما كتب عن تاريخ الفكر العربى، وجاء نتيجة إلمام المؤلف الواسع والعميق بكل ما كتب فى مختلف اللغات عن الحضارة العربية.

ويضيق بنا الوقت عن الاستشهاد بأهم ما كتبه من مقالات فى موضوعات التاريخ الإسلامى العام. ويكفى الإشارة — فى هذا المجال — إلى بعض هذه المقالات لمعرفة الاتجاهات التى كان يطرقها بالبحث.

فعلى سبيل المثال :

— تطور الأساليب الفنية فى العصر الإسلامى الوسيط.

— إسطبل لابن سوريى فى القرن الرابع عشر الميلادى.

— بعض مظاهر الحضارة العربية فى العصر الجاهلى.

— أثر الشرق الإسلامى على الثقافة الغربية.

— الدولة الأموية دولة بيزنطية الطابع، والدولة العباسية دولة فارسية الطابع.

— حياة الترف والمتعة في مكة في القرن الأول الهجري .

— الترجمة عن الاغريقية عند العرب .

* * *

وفي مجال الفنون الإسلامية كان لفييت نصيب كبير من الشهرة العلمية . لقد تميز عمله في متحف الفن الإسلامي بالتعمق في دراسة الفنون الإسلامية في مجالاتها المختلفة ، ودراسة المجموعات الفنية التي يضمها المتحف من منسوجات وحراير وسجاجيد ، وخزف ، وتحف معدنية نحاسية وبرونزية وتصاوير ، وأواني زجاجية ، والمشكاوات المموهة بالمينا . ويتضح هذا الجانب إذا ما استعرضنا دراساته الرئيسية في هذا المجال ، وهي .

— المشكاوات والأواني الزجاجية المموهة بالمينا ، من مطبوعات المتحف ، القاهرة ١٩٢٩ .

— كتالوج لمتحف ، القاهرة ، ١٩٣٠ .

— التحف النحاسية والبرونزية ذات النقوش التاريخية ، من مطبوعات المتحف ، القاهرة ١٩٣٢ .

— معرض الفن الفارسي بالقاهرة ١٩٣١ . وقد ظهر له عن هذا المعرض كتابان أحدهما سنة ١٩٣٣ ، والثاني سنة ١٩٣٥ .

— التصاوير الفارسية والتركية والهندية . مجموعة شريف صبري ، من مطبوعات المجمع العلمي ، القاهرة ١٩٤٣ .

— حراير فارسية ، من مطبوعات المجمع العلمي ، القاهرة ١٩٤٨ .

هذا وقد تعددت مقالاته في مختلف موضوعات الفنون الإسلامية عامة ، وعن مصر والشام خاصة ، الخمسين مقالا ، يعرف المختصون موضعها في المجلات والدوريات العلمية ، ويتعذر علينا — في هذا المقام — الإشارة إليها .

كما برع ثيت في ميدان النقوش العربية . وهذا يرجع إلى قدرته في قراءة الكتابة العربية التي استخدمت كعنصر من عناصر الزخرفة في الفن الإسلامي ، ثم تطورت عبر العصور وبلغت على يد الفنان المسلم درجة من التعقيد بحيث يتعذر على القاريء العادي قراءتها . كما يرجع أيضاً إلى إلمامه الواسع بالتاريخ الإسلامي ، الأمر الذي مكنه من شرح هذه النقوش والتعليق عليها لوضعها في إطارها التاريخي الصحيح .

وبالإضافة إلى ما قام به من نشر دراسات استاذه ماكس فان برشم عن القدس ومصر التي لم يتيسر له نشرها قبل وفاته ، فقد أمد ثيت المكتبة العربية بالكنوز العلمية الآتية في مجال النقوش :

ـــ النقوش العربية في مصر ، الجزء الثاني ، (الجزء الأول أخرجه فان برشم) وقد صدر في مجموعة الأعمال العلمية لأعضاء المعهد الفرنسي للآثار الشرقية . سنه ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .

مجموعة شواهد القبور الموجودة بمتحف الفن الإسلامي . وهي من مطبوعات « الدليل العام للمتحف » . وقد صدرت في ثمانية أجزاء تحمل الأرقام الآتية :

« الثاني والرابع (١٩٣٦) ، الخامس (١٩٣٨) ، السادس (١٩٣٩) السابع (١٩٤٠) ؛ الثامن والتاسع (١٩٤١) ، العاشر (١٩٤٢) .

ـــ كما قام بالاشتراك مع إثنين من زملائه وهما Ehiune Combe, Jean Sauvget من تلامذة فان برشم بإصدار سجل الكتابات العربية . وفي هذا السجل جمعوا الكتابات العربية في كافة البلدان العربية الإسلامية مرتبة ترتيباً زمنياً بدأت بالقرن الأول الهجري وتوقفت بنهاية القرن التاسع الهجري . وقد ظهر منها خمسة عشر جزءاً في الفترة ما بين سنة ١٩٣١ حتى سنة ١٩٥٧ .

— « النقوش العربية فى مكه والمدينة » . وهذه النقوش كان قد قام بجمعها فى مكة والمدينة المرحوم حسن الهوارى الذى كان يعمل أميناً مساعداً بالمتحف وقت أن كان ڤييت يتولى إدارته . ولم يبدأ ڤييت دراسة هذه النقوش والتعليق عليها إلا بعد أن عاد إلى فرنسا وعين أستاذاً بالكوليج دى فرانس سنة ١٩٥٢ وابتداء من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٥ كانت محاضراته عن هذه النقوش التى كان يعدها للنشر . ولا أعرف حتى الآن مصير هذه الدراسة .

ولم يقتصر نشاطه فى مجال النقوش على إخراج هذه الكتب ، فقد نشر الكثير من النقوش العربية ، وخاصة عن مصر والشام ، فى عديد من البحوث فى المجلات العلمية ، ويكفى أن نشير إلى أن الحصر المبدئى لهذه البحوث يبلغ حوالى الأربعين بحثاً .

ولم يكن ڤييت يستطيع أن يبرز على هذا النحو فى كافة المجالات التى أشرت إليها لولا قدرته الفائقة فى قراءة النصوص العربية القديمة . وهذه القدرة هى التى ساعدته على أن يبز أقرانه ومعاصريه من المستشرقين فى مجال ترجمة النصوص العربية القديمة إلى اللغة الفرنسية والتعليق عليها ، وذلك لتعريف الأوربيين بروائع الأدب العربى .

كما أن إقامته الطويلة فى مصر جعلته على صلة وثيقة بكبار الأدباء المصريين المعاصرين له مثل طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور ، وهذه الصلة مكنته من أن يتعرف على روح الشعب المصرى وأن يتذوق ما كتبه هؤلاء الأدباء لينقله إلى لغته الأصلية .

وإلى حضراتكم قائمة بأهم ما قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية من نصوص عربية قديمة .

اليعقوبى : البلدان ، باريس ١٩٣٧ .

— ملخص لكتاب « نزهة المشتاق » للادريسى ؛ من مطبوعات الجمعية الجغرافية المصرية ، سنة ١٩٣٩ .

ـــ ابن إياس : بدائع الزهور . ابتداء من عصر قايتباي حتى الغـــزو العثماني لمصر في ثلاثة أجزاء صدرت بالقاهرة سنة ١٩٤٥ ثم في باريس سنة١٩٥٥، ١٩٦٠

ـــ مذكرات نقولا ترك (فيما بين سنتى ١٧٩٨ و ١٨٠٤) ، القاهرة ١٩٥١ .

ـــ عجائب مصر لمرتضى بن عفيف ، باريس ١٩٥٣ . (وهذا الكتاب يتحدث فيه مؤلفه عن الأهرامات ، وفيضان النيل ، وما اشتهرت به مصر من عجائب . وكان قد ترجمه VATTIER سنة ١٩٥٦) .

ـــ المقريزى : الفصل الخاص من كتاب الخطط ، عن « أسواق القاهرة » .

ـــ محاضرات ألقيت في الكوليج دى فرانس سنوات ١٩٥٤، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦،

المقريزى . إغاثة الأمة بكشف الغمة . ترجمة مع التعليق عليها . وقد نشرت في Journal of economic and social History of the Orient, no 5, 1960.

ـــ إبن رسته : الأعلاق النفيسة ، باريس ١٩٥٥

من مطبوعات اليونسكو

ـــ إبن حوقل : صورة الأرض ، باريس ١٩٦٤

من مطبوعات اليونسكو

وفى مجال الأدب المصرى الحديث قام ڤيت بترجمة الكتب والقصص الآتيـة : ـــ

ـــ طـه حسين ـــ

ـــ كتاب الإمام ـــ القاهرة ١٩٤٠ .

ـــ شجرة البؤس . (قصة قصيرة) ، مجلة القاهرة ١٩٤٩ .

ـــ توفيق الحكيم .

ـــ يوميات نائب فى الأرياف ـــ بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ

الدكتور محمد حسن . القاهرة ١٩٣٨ .

— الرباط المقدس — مجلة القاهرة ١٩٤٣ .

— محمود تيمور

ترجم له عدداً من القصص أهمها :

— بنت الشيطان .

— تاج من ورق .

— غرام قديم .

— النبع المجهول .

— بسمة اللبنانية .

— كان فى غابر الأزمان .

— حلم وانقضى .

— كلب أسعد بك .

— حافظ رمضان .

— أبو الهول قال لى ، القاهرة ١٩٤٦ .

* * *

ولم يكن ڤيت أثناء إقامته فى مصر يعيش بعيداً عن حياة المجتمع المصرى ومشاكله الاجتماعية . ففى سنة ١٩٤٠ كتب مقالا فى مجلة « القاهرة Ia Revue du Caire » ، العدد الخامس بعنوان « نظرة على المشكلة الاجتماعية فى مصر » شرح فيها أبعاد هذه المشكلة، كما كان يراها المثقفون وقتذاك بالإضافة إلى رأيه الخاص بوصفه رجلا أوربياً .

وفى سنة ١٩٤١ قام بترجمة المقال الذى كتبه وقتذاك الأستاذ محمود عبدالرحيم

عنبر عن « مشكلة الطلاق فى مصر » وقد نشرت الترجمة فى مجلة مصر المعاصرة .

* * *

وفضلا عن كل هذا وذاك ، فقد كان ڤييت قارئاً ممتازاً، كما كانت تربطه بكافة المؤرخين المعاصرين له ، أوروبيين وعرباً ، صلات طيبة ، ولهذا لم يكن يخرج كتاب فى الدراسات الإسلامية ، موضوع تخصصه ، إلا وسارع بتقديمه إلى القراء ، معترفاً به ، وناقداً له .

ويخرج المرء ، بعد إطلاعه على قائمة تقديمه للكتب — والتى سبق أن أوضحت فى بداية هذه الكلمة أنها فاقت الخمسين كتاباً ، بالعربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية — بفكرة واضحة عن مدى سعة إطلاعه ، وغزارة علمه ، وشمول ثقافته، وتجاوبه مع الحياة العلمية أخذاً وعطاء .

لقد قام الأستاذ أندريه ريمون André Raymond مدير المعهد الفرنسى للآثار بدمشق ، بمناسبة بلوغ المرحوم جاستون ڤييت السبعين من عمره ، بحصر أعماله العلمية ، منذ أن بدأ حياته العلمية فى سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٦٠ ، ونشرها فى مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة . وهذه القائمة تكاد تكون تامة ، لم يسقط منها إلا بعض المقالات التى تعد على أصابع اليدين بسبب السهو أو بسبب عدم الإحاطة الشاملة بكل مؤلفات ومقالات ڤييت . هذا فضلا عن أن ڤييت ظل يعمل ويكتب حتى قبيل وفاته ، ومن ثم فإن الأمر يقتضى وضع قائمة كاملة بكل مؤلفاته وأبحاثه .

* * *

وأخيراً لا يسعنى فى ختام هذه الكلمة إلا أن أوجه الشكر إلى حضراتكم لتفضلكم بالحضور إلى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية لسماع هذه الكلمة عن العالم والمؤرخ جاستون ڤييت .